الرجل الذي نريد الآن اكرام ذكراهُ فالاستمرار على المبدأ الذي عني به هو وتوسيع نطاقهِ حقيقان بان نتجه اليهما الانظار في هذه الآونة »

ثم قال فخامتهُ « ان تذكار لورد كتشنر لا يلزم ان يكون مقيداً بهذا المشروع الذي بسطتهُ فاذا خطر على بال احد مشروع انفع منهُ قوبل بالترحيب وبما يستحق من البحث والتروي . واذا اتفق لمدينة او جماعة ان تجد اسباباً خصوصية لاقامة تذكار محلي عندها فليس ما يمنع النظر في ما تريد النظر فيهِ بالطرق المعتادة »

وافاض في الحديث بعد ذلك عن كيفية انشاء هذا المتنزه واداراته في المستقبل . ويظهر لي ان فخامتهُ مقتنع تمام الاقتناع بشدة الحاجة اليهِ ووثوقهِ ان اهالي القطر يلبون نداء سلطانهم و يقبلون على الاكتتاب في مشروع تعود فائدتهُ عليهم لان الطبيبات اللواتي يتخرجن في هذا المستشفى تنشأ لهن مستشفيات في سائر انحاء القطر لكي تستفيد البلاد كلها منهن

شكسبير

كيفية وصولهِ الى الشهرة

اشرنا في الجزئين الماضيين الى الدلائل التي تدلُّ على ما لشكسبير من الشهرة الواسعة واسبابها ووعدنا ان نشير الى كيفية وصولهِ اليها عسى ان يكون في ذلك ما يدعو الى اصلاح التمثيل العربي

والشهرة اثمن المقتنيات فلا تنال عفواً ولا يشتهر احد في مطلب من المطالب الاَّ وفي طبعهِ واحوالهِ ووسائلهِ ما يتيلهُ هذه الشهرة . والشعراء ارباب الخيال الذين يجردون الصور البديعة من الطبيعة والحكم البالغة من التاريخ والمعاني الرشيقة من القرائح يجب ان يكونوا في بلاد كثرت تجادها ووهادها وانهارها وغدرانها وسهولها ووعورها ورياضها وغياضها كالشام وسوريسرا وفرنسا وانكلترا وبعض جهات اليمن ونجد وان يقفوا على التواريخ القديمة والحديثة واخبار الامم ووقائع الحروب وسياسات الدول واساليب الاحكام . ويحصلوا مما انشأهُ ارباب الكلام ونظموا جواهر المعاني من نحو العبرانيين والمصريين والاشوريين واليونانيين والرومانيين والفرس والعرب والهنود وغيرهم من امم المشرق والمغرب . اذا اجتمعت للشاعر هذه الوسائل وكان بالفطرة الموروثة ميالاً الى ابتكار المعاني ونظم القريض سهل عليهِ التبريز على الاقران والاستيلاء على العقول . وكان شكسبير من

هذا التبيين كما سنبينهُ في هذه المجالة معتمدين على ما جاء في ترجمتهِ في الطبعة التاسعة من الانسكلوبيذيا البريطانية بقلم الدكتور بيفس استاذ المنطق والبيان في جامعة سنت اندرو وعلى بعض ما جاء في الطبعة الحادية عشرة بقلم العالم هيركريشلم

ولد شكسبير بمدينة ستراتفورد في اواخر شهر ابريل سنة ١٥٦٤ . وهي مدينة قديمة على نهر اڤون عُرفت هي وما يحيط بها من قبل عهد الرومان الذين اجتاحوا البلاد الانكليزية واضافوها الى ممالكهم وانشأوا فيها القصور والمعاقل . واشتهرت في الحروب الاهلية التي توالت بعد ذلك واقام فيها سوق للمواشي من اشهر الاسواق في تلك البلاد

ولا يعرف جمال البلاد الانكليزية الاَّ من زارها وتنقل في ربوعها فصعَّد في جبالها وصوَّب في وهادها واوغل في حراجها وادغالها وراقب تحدُّر شلالاتها واجال طرفهُ في ما حولهُ من البلاد فرأى مشارفها بين كامٍ تجللهُ الحراج والادغال وعارٍ علاهُ الثلج والغمام وقد قامت بينها القصور والابراج معاقل امرائها الاقدمين واغنيائها المحدثين وكل شرفة من شرفاتها تنبئك بتاريخ فارس مغوار او غادة حسناء واخبار تداولها الخلف عن السلف وبنوا عليها اشعارهم واغانيهم . هذه حال البلاد التي لم يفتح شكسبير طرفهُ الاَّ وقع عليها فاعادت اليهِ ذكرى سكانها السالفين . واهالي البلدان الجبلية يكثر تحدثهم باخبار اسلافهم فلا بدَّ من ان يكون شكسبير قد سمع الكثير منها ووعاهُ في ذاكرتهِ واستعادهُ حينما الَّف رواياتهِ بعد ان وقف على التواريخ المكتتبة واستخرج منها ما نظم منهُ تلك القلائد

وكان من بيت لهُ شان في ستراتفرد فان جدَّهُ رتشرد كان يسكن بيتاً كبيراً على نحو ثلاثة اميال او اربعة من تلك المدينة ولهُ مزرعة واسعة هناك وكان لهُ ولدان جون وهنري فانتقل جون الى ستراتفورد واقام فيها تاجراً وهو ابو صاحب الترجمة وكان يبيع الجلود وما يصنع منها واشتغل ايضاً ببيع الصوف والخشب والحبوب ويقال انهُ كان لحاماً ايضاً ولا غرابة في ذلك لان ستراتفورد مركز بلاد زراعية وهي سوق لها ومن كان عملهُ الزراعة وانتقل اليها يغلب ان يتاجر بالسلع الزراعية . والظاهر انهُ كان عالي الهمة ذكيَّ الفؤاد مقداماً فلم يمضِ عليهِ خمس سنوات حتى جُعل من اعيان المدينة وتدرَّج الى ان صار عمدة لها ورئيساً لمجلسها البلدي ومحكمتها المحلية وكان ذلك سنة ١٥٦٨ . وتدلُّ الدلائل على انهُ كان قد صار من ذوي السعة فانهُ اشترى بيتين في المدينة سنة ١٥٥٦ واقترن في السنة التالية بسيدة من بيت وجيه اسمها ماري اردن ورثت من ابيها جانباً من المال ومزرعة فيها نحو ستين فداناً وبيتان او ثلاثة فانتمت ثروتهُ بذلك ثم اشترى بيتين آخرين ويقال ان

ابنهُ صاحب الترجمة ولد في احدهما. ثم قلب لهُ الدهر ظهر المجن فخسر اكثر ثروته لانهُ كان كريماً متلافاً قليل التدبير سريع التأثر لا يعنى بالعقائب ولا يدقق في اعماله وكان فوق ذلك محباً للجاه والتأنق فلما كان عمدة للمدينة اقى مجلعات من المشلين وجعلهم يمثلون في دار المجلس البلدي احتفالاً بارتقائهِ الى هذا المنصب فغرس في نفس ابنهِ محبة التمثيل لان ما يشاهدهُ الفتى في حداثته يؤثر فيهِ تأثير شديداً وقد يغير مجرى حياتهِ . وطلب من نقيب الاشراف حينئذٍ ان يحبهُ بينهم و يعطيهُ سمة الشرف اي ان نفسهُ كانت جانحة الى المعالي وحب الشهرة مع انهُ كان لا يزال تاجراً من عامة التجار في بلد صغير . فهذه الاخلاق كلها آلت الى فقدانهِ ما جمع من الثروة فرهن املاكهُ واستغرق في الدين واضطرت زوجتهُ ان تبيع املاكها لا يفاء جانب من دينهِ وظل في حالة ضيق شديد الى ان افلح ابنهُ وساعدهُ على ايفاء ديونهِ واسترداد بعض الاملاك التي باعها . ولكن فقرهُ لم يحط منزلتهُ في عيون قومهِ لاسيما وانهُ بقي ينفق كاغنيائهم

اما زوجتهُ ماري اردن فكانت من عائلة قديمة وجيهة كما تقدم ومن اسلافها رجل اسمهُ الدن صاهر بيت الملك المعروف ببيت اثلستين ولذلك قدمها تمزوج بدم اشراف النورمنديين وقام من اسلافها رجال اشتهروا بمناصرة الملوك في حروبهم . ووجهاء الانكليز يمتازون عن عامة الشعب بآدابهم واخلاقهم امتيازاً كبيراً رجالاً ونساء وقد كانت ام شكسبير من الطبقة العليا ولا بدَّ من انها اثرت فيهِ تأثيراً كبيراً بآدابها واخلاقها وبما يعرف من تاريخ اهلها ووجاهتهم لاسيما وانهُ بكرها والامهات يعنين خاصة بتربية البكر من اولادهنَّ . فلما كان والدهُ في سعة تعلَّم وتهذب ورأى من بشاشة امهِ وخلافة وجهها ما ساعدهُ على وصف النساء وهنَّ في اوج مجدهنَّ ولما ضاقت الاحوال وجاءت ايام البؤس رأى من صبرها وطول اناتها ما ساعدهُ على وصف النساء وهنَّ في حالة البؤس والشدَّة . فاليسر والعسر اللذان اصابا والديهِ اثرا في نفسهِ تأثيراً شديداً كما اثرت اخلاقهما فيهِ . ثم ان ما حلَّ بهما من الضيق حملهُ على بذل اقصى جهدهِ لكي يكتسب مالاً يساعدهما بهِ و يردهما الى الحالة التي كانا فيها فضل عن طيب نفس وزاد بذلك ليناً ودعة

ولا شبهة في ان شكسبير ورث اخلاقهُ كلها من ابيهِ وامهِ واسلافهما فورث السعي والاقدام من والدهِ والذكاء والشيم من والدتهِ وورث منها ايضاً الدعة والعطف على الاهل والتدقيق في الامور المالية

ولا يُعلم بالتدقيق يوم ميلادهِ ولكن وجد في سجلات كنيسة ستراتفورد انهُ عُمِّدَ في ٢٦ ابريل سنة ١٥٦٤ والمرجح انهُ ولد في ٢٣ ابريل حسب المتواتر . وفي شهر يوليو

تلك السنة قد انضم في ستراتفورد فاصبح سادس سكانها وهو بكر والديه من الصبيان وكان ابوه في يسر تام لما ولد فنشأ كي ينشأ الاولاد في المدن الصغيرة المجاورة لبلاد الفلاحين والذين اقاربهم من كبار الفلاحين اي نشأ وهو يقضي اكثر ايامه في الشوارع والمزارع والحراج يرى الشوارع غاصة بالمواشي وباعة الحبوب والاثمار والمزارع والحراج تربض فيها القطعان ويتولى الناس اعمال الزراعة على انواعها وضفاف نهر اڤون يرتادها الصيادون يوماً بعد يوم. وكان يحضر الاسواق والمآتم والافراح ويزور بيت جدو لامه ويجول في حديقته الغناء فيقابله الخدم والحشم بما يستحقهُ من الاكرام وارث الوارثة لذلك البيت. ولما شبَّ صار يشترك في الاعياد المختلفة وحفلاتها الباهرة

وكان في البلاد الانكليزية كثير من اجواق التمثيل وكانت هذه الاجواق تزور مدن الارياف وتمثل فيها الروايات الدينية ومن المرجح انها زارت ستراتفورد لهذه الغاية مراراً او على الاقل لما دعاها ابوهُ وسمح لها ان تمثل في دار المجلس البلدي. ومن المؤكد انها كانت تزور كوفنتري وهي على مقربة من ستراتفورد ويبعد عن الظن ان لا يكون شكسبير من الذين ذهبوا لمشاهدة تلك الروايات وتتبعوا فصولها فصلاً فصلاً

وكان في ستراتفورد مدرسة كبيرة من القرن الخامس عشر تعلم اللغة اللاتينية وشيئاً من اليونانية مع الانكليزية ولكن اكثر الاعتماد كان على تعليم اللاتينية وآدابها فيتعلمها التلميذ قراءةً وكتابةً وتكلماً ويُعلم الآن ماذا كان التلامذة يدرسون في كل سنة مدة اقامتهم في تلك المدرسة وما هي الكتب التي كانوا يدرسونها ومن هم اساتذتهم وما هي مؤلفاتهم وما هي شهرتها. ويظهر من رواياته انهُ اتقن دروس اللاتينية واستخدامها اي انهُ جعلها وسيلة لا غاية. والظاهر انهُ اقام في تلك المدرسة ست سنوات فلا بدَّ من ان يكون قد قرأ كثيراً من تواريخها ودواوينها وروايتها واستظهر من درر العبارات وجوامع الحكم ما كان لهُ اكبر عون في انشاء رواياته التمثيلية واشعاره الحكمية. وكان يعرف ايضاً شيئاً من اليونانية وقد اشار الى ذلك صديقهُ الشاعر بن جنصن لما رثاهُ ولم ينسب اليهِ التضلع من اللغة اللاتينية ولا غضاضة على شكسبير في ذلك لان المتضلعين من العلوم قلما يفلحون في تعاطي الاعمال وهذا بن جنصن لا يذكر اسمهُ الآن مرة حتى يذكر اسم شكسبير الف مرة واساتذة شكسبير في اللاتينية لا تعلم اسماؤهم الاَّ بعد البحث الطويل. وقبل ان اتم شكسبير دروس تلك المدرسة ساءت احوال ابيهِ المالية فاضطرَّ ان يتركها سنة ١٥٧٨ وعمرهُ ١٤ سنة فقط ومن ثمَّ صار اعتمادهُ على العمل وهو مدرسة التعلُّم كما سيجيء

د . غنس البلدي في ستراتفورد والمدرسة التي تعلم فيها شكسبير
في الطبقة العليا منها

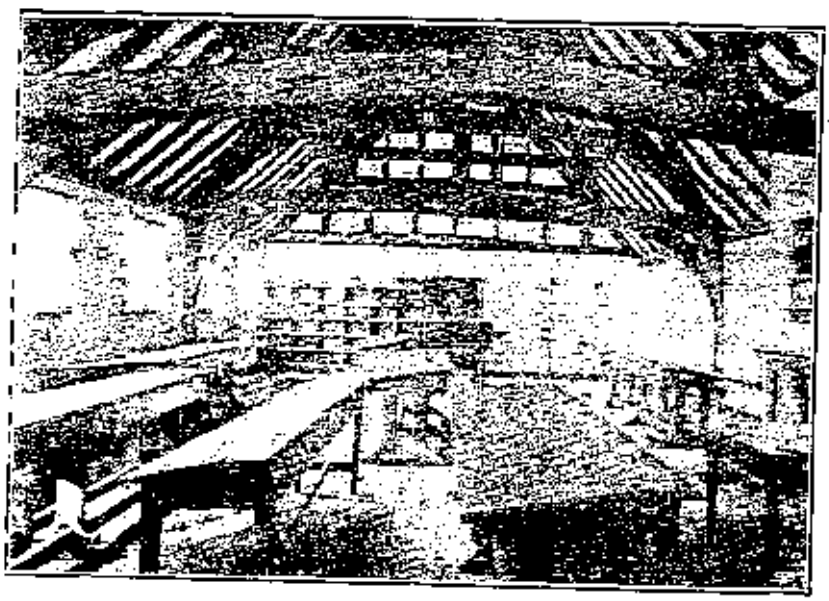

غرفة من غرف التدريس في هذه المدرسة

مقتطف اعطس ٦ ٩
امام الصفحة ١١٣